

الادب والسياسة مرة اخرى

(ان امن اسرائيل ، لا يمكن ان يكون الا ضمانا عسكريا)

لم يصدر هذا التصريح من وزير حربية المانيا الغربية ، ولو انه صدر منه لكان مبررا ومفهوما - في حدود المصالح الاقتصادية المشتركة بين الدولتين . فعندما يقول (شوتز) عمدة برلين الغربية « يجب على الغرب ، وعلى المانيا الغربية في المقام الاول ، ان يتضامن تضامنا كاملا مع اسرائيل في هذه المرحلة الدقيقة » يكون الكلام مفهوما - فرجل السياسة داخل جهاز سياسي معين مرتبط ارتباطا اقتصاديا وعسكريا وثيقا بدولة اخرى ، يتحتم عليه كرجل سياسة مخلص لنظامه ويشارك في صنع النظام ، ان يرى الاشياء من وجهة نظر الدولة . ومن الطبيعي ان تتفاوض المانيا الغربية في الشهر الماضي مع ايران لبناء مصنع للدبابات ينتج الف دبابة المانية ، مقابل تسهيلات نفطية - ولا نريد هنا ان نتساءل عن سر هذا التكدس المبالغ فيه من الاسلحة في ايران ، وضد صدر من سوف توجه - لن نتساءل ، لاننا نعرف جيدا .

لقد صدر هذا التصريح الانف الذكر الذي يقول « ان امن اسرائيل ، لا يمكن ان يكون الا ضمانا عسكريا » في بيان مشترك في اواخر ديسمبر ١٩٧٢ بمناسبة انعقاد مؤتمر سلام الشرق الاوسط (المزعوم) في جنيف من السادة الكتاب الثلاثة هاينرش بيل - الحائز على جائزة نوبل في الاداب ، وجنتر جراس ، وزيجفريد لينتس . واعقبه بشكل تفصيلي الشاعر الروائي المسرحي جنتر جراس في مقال نقله هنا . لقد اثار الكتاب الثلاثة مشكلة تدعو للتساؤل والمنافسة - وهي مشكلة العلاقة بين السياسة والادب .

نحن نرى ان الكاتب - بشكل عام - لا يمكن ان يكون « مع » المؤسسات الاجتماعية القائمة ، مهما كانت طبيعة هذه المؤسسات . فكون الكاتب في « حالة تصالح » معها ، يعمل على عرقلة تطورها وحركتها - فموقف الكاتب « الضد » يساعد في دفع الحركة الى امام ، الى افضل . كما ان موقف الكاتب المنسجم مع الواقع ، في جوهره موقف لا اخلاقي . انه في حالة معارضة مستمرة ، وعليه تحمل مسؤولية ذلك . حتى لو كان الكاتب متفقا مبدئيا على الخط العام للدولة ، فان مسؤوليته تدفعه باستمرار لاقفاء الضوء على ما هو خطأ فيما هو قائم ، فوعيه الشامل (اوالذي يحاول ان يكون شاملا) للمشكلة الانسانية ككل ، يعده عن الفهم الجزئي للواقع ، فالفكر والشعر .. الخ محاولة صعبة لفهم الكلي العام - بهدف تغييره - وليس الجزئي الخاص . حتى في حالة تعرض

الكاتب لجزئيات تفصيلية فهو يهدف دائما لرؤية اشمل وابعد . الشعر محاولة للفوص في عمق الاحداث وما يحركها ، وليس مناقشة سهلة او تعليقا على ما يحدث . الشعر شامل ودائم، اما السياسة فجزئية ومرحلية . الجذر وليس الورقة هو ما يجب على الكاتب ان يهتم به .

يمكن ، بل من الافضل ، بل يجب على الكاتب ان تكون له وجهة نظر سياسية . افضل بكثير ، ان يشارك مشاركة فعائية وبشكل مباشر في العملية السياسية . واية محاولة من جهة الكاتب للتدخل في العملية السياسية اليومية ، محاولة انسانية وعظيمة ومرغوبة - بشرط : الا يقع في الفهم المثالي للواقع ، والا يضييع في الجزئيات ، ويفقد القدرة على الرؤية الكلية .

فعندما يتحدث جنتر جراس عن (الجريمة التي ارتكبتها الالمان في اباداة ستة ملايين يهودي - وان كل فرد في المانيا محمل بالجريمة - وانه دون الذنب الالمانى لما وجدت اسرائيل) يقع حقيقة في فخ الفهم المثالي ، ويرى الاشياء والواقع ونذاب الملايين من البشر ، من وجهة نظر واحدة .

انه يرى وجها واحدا فقط من العملة ، ولا يرهق نفسه في قلب العملة على الوجه الاخر - حتى يمكنه ان يرى الجريمة في تكاملها . انه يحصي عدد القتلى ، ويدين من بيده المسدس ، لكنه لم يتساءل عن : من الذي وضع المسدس في يده .

حسنا ، لقد ارتكب النظام النازي جرائم بشعة وكثيرة لسن ينساها التاريخ البشري ، منها جريمة اباداة ستة ملايين يهودي - ونحن ضد ذلك ، لاقصى حد ممكن . لكنه يقول : الجريمة التي ارتكبتها (الالمان) !! اي المان بالتحديد ؟ بائعة الامشاط في المحل التجاري الضخم ؟ ام الموظف الصغير في البنك الالمانى الشهير ؟ لم يكن (الالمان) وراء ما حدث ويحدث ، بل كانت طبيعة النظام الراسمالي في يد ديكتاتورية عسكرية ، ابان ازمة من ازماته - ولا داعي لان اسمي له اسماء الشركات والبنوك التي مولت الجريمة ، فهو اعلم مني بذلك .

ان الحديث عن قتل ٦٠٠٠٠٠٠٠ انسان يجب ان يكون اكثر تحديدا - بل ان الحديث عن قتل ستة ملايين فار ، يجب ان يكون محددا .

ثم يشير بعد ذلك مشكلة انسانية استوقفتني : مشكلة الحلم

الانساني . (بداية تحقق الحلم باسرائيل العظمى) . حـق
 للشعوب في ان تعلم بعالم عادل ، وحق الانسان في ان يحلـم
 بعالم اكثر انسانية ، وبارض ينتمي اليها وتنتمي اليه - يعيش
 فوقها ويهوت فوقها . هذا الحق يبـحه لجماعة ، ويسلبه ببساطة
 غريبة وسذاجة لا تحتمل عن جماعة اخرى . نفس الخطأ : الرؤـية
 المثالية لوجهة واحدة من عملة الواقع .

ثم يحدثنا عن لعبة النفط ويقول (ان الذي عجز العرب عن
 تحقيقه في ساحة الحرب ، قد حقق عن طريق منع النفط)
 واتساءل : ماذا حقق العرب عن طريق منع النفط (الزعوم) ؟ واتساءل
 مرة اخرى : متى منع النفط ؟ ان النفط يتدفق وكان متدفقا وما زال
 متدفقا - وقد راينا نتيجة هذه اللعبة وراينا من الذي استفاد
 منها ، وكيف تحولت من فكرة سياسية مثالية ، الى فكرة عملية
 جدا لرفع اسعار النفط ومنتجاته . وقد وضع جراس يده على جزء
 من العملية ، لكنه لم يصل بالتحليل لنهايتها . ونقول له مرة اخرى:
 ان العرب لم يمنعوا النفط . وان النفط العربي في يد من يملك غالبية
 الاسهم : الشركات الاميركية في المقام الاول بالاضافة للقطاعات الملقاة
 من الاسهم الباقية للبورجوازية العربية . لقد وقع جراس في نفس
 الخطأ الذي وقع فيه اغلب الحكام العرب والانظمة العربية والكثير
 من افراد الشعب المضلل به .

لقد كان جتتر جراس في بيانه الخاص ملتزما تجاه حزبـه
 السياسي الحاكم ، بصفته عضوا نشطا فيه ، وصديقا شخصيا
 لفيلي براندت ، لكنه تخطى ببساطة شديدة - اعتقد انها سوف تدينه،
 ليس امامنا فقط ككتاب عرب ، ولكن امام زملائه الكتاب الالمان
 الذين لم يوقعوا على بيان الثلاثة - تخطى ببساطة عن التزامه
 الحقيقي كشاعر ، وكان يجب عليه الوقوف باستمرار في صف حرية
 الانسان .

المانيا الغربية يسري خميس

اسرائيل وأنا (*)

بقلم : جتتر جراس

تحضرنى وتشغل تفكيري عند نهاية عام ١٩٧٣ ، حرب الشرق
 الاوسط الاخيرة ، ومستقبل دولة اسرائيل . والجدير بالذكر هنا
 انني قد زرت اسرائيل ثلاث مرات ، بينما لم ازر اية دولة عربية .

لم تخل كتاباتي من اثر تلك الجريمة التي ارتكبتها الالمان -
 جريمة اباداة ٦ ملايين يهودي . وعندما اتحدث عن الالمان فانني
 اقصد الالمان في المانيا الغربية ، حيث يحاولون بصموية عدم النسيان .
 والالمان في النمسا ، التي تستفيد من وضعها السياسي المنزول ،
 والالمان في المانيا الشرقية ، حيث تمنهم الدولة من المشاركة في حمل
 الذنب الالمانى المشترك .

تحدثت في اسرائيل مع اصدقاء كثيرين واستمعت لآراء متضاربة .
 كم يعانون من اضطرابهم لان يكونوا قوة محتلة ، هم المصطفيين منذ
 قرون . كيف يتأكد لهم من خلال انتصاراتهم العسكرية ، ضرورة

(*) نشر هذا المقال في جريدة Sueddeutsche zeitung

الالمانية العدد رقم ٣٠١ بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ .

الامان العسكري . كيف ابتداء الحلم باسرائيل العظمى في التحقق ،
 وما هو الان يتكسب ارضية واقعية - مرتبطا بالامن العسكري .
 كيف يختلف منطق اسرائيل السياسي عن طريقة التفكير العربية ،
 التي يمكن تسميتها بشكل متجمل طريقة عاطفية غير عقلانية .

وفي الخريف ابتدأت الحرب . اجلس واكتب واشاهد
 التلفزيون . ادخن وارسم واكتب وادخن ، وارى وجهات النظر المختلفة .
 وارى كيف يضع (الحق العادل) . استمع لتعليقات مختلفة ، واتعلم
 ان القوى العظمى تكتسب في المقام الاول خبرات عسكرية جديدة ،
 ايضا من خلال تلك الحرب ، التي لولا اسلحتها لاختلف حجمها ،
 بل لكنت غير ممكنة التحقق . اتلقى مكالمات تليفونية وخطابات تسألني
 عن رأيي ، ويطلبني اصدقاء بان أقف مع الاسرائيليين بصلاية ، مثلما
 وفقت معهم بصراحة بعد حرب الايام الستة . الاصدقاء في اسرائيل
 لا يفهمون موقفي . انهم يفتقدون كلمة واضحة صريحة ومنحازة .
 انهم يحسبون انهم قد تركوا ، فد غرر بهم . وباندهاش يعقدون
 مقارنات غير سليمة . لكن التصرفات الخاطئة من الناحيتين لا
 تبيح فرصة للانحياز . ليس العرب وحدهم ، لكن دولة اسرائيل
 (الحكومة والمعارضة) ايضا قد اخطت في بعض التصرفات (وفي
 الحقيقة فان هذا شيء طبيعي ومخيف . فكأية دولة اخرى ،
 فان اسرائيل ايضا لها الحق في ان تنورط في اخطاء سياسية) .

فمن ناحية ، لم تبد الدول العربية بعد حرب الايام الستة اية
 رغبة في عقد مفاوضات للسلام مع اسرائيل ، ولم تكن مستعدة
 للاعتراف بوجود اسرائيل ، او للدخول في مفاوضات تحت شروط غير
 مقبولة (الانسحاب من الاراضي المحتلة كشرط اساسي للمفاوضات) .
 ومن الناحية الاخرى ، فان اسرائيل تلعب دورا استعراضيا في
 نشاطها المتزايد في الاستيطان بالمناطق المحتلة : شراء الاراضي ،
 وضع اسس قرى للدفاع ، معاملة السكان العرب في المناطق
 المحتلة معاملة المستعمر .

وكما اعطت مصر عام ١٩٦٧ - بهجومها العسكري على مناطق
 الحدود في شبه جزيرة سيناء - الفرصة لاسرائيل ، ان تبدأ
 بحرب الايام الستة ، بحجة الدفاع عن النفس . اعطت اسرائيل -
 بنشاطها العنيف في المناطق المحتلة - الفرصة للدول العربية
 للهجوم هذه المرة .

وحتى الحرب الاخيرة ، قد انتهت لصالح اسرائيل ، بعدد
 اجتيازها مواقف حرجة ، وبعد نصف نصر عسكري . بينما اصبح موقف
 الدول العربية السياسي اكثر قوة ، والذي عجزوا عن تحقيقه في
 ساحة الحرب ، قد حقق عن طريق منع النفط .

كانت هناك قوى اقتصادية عالية ، لا تفكر الا في الربح دون
 اية رقابة ديموقراطية . وقد كانت تعمل تلك القوى على تقوية
 الضغط العربي من خلال موقفها كقوى رأسمالية غربية . لقد كان
 الموقف الاول متوقعا ، اما الموقف الثاني فهو يضع الديموقراطية
 البرلمانية موضع سؤال . لا يمكن لاحد ان يتحدث عن « الغرب
 الحر » عندما تتحدد سياسته عن طريق المؤسسات الصناعية الكبيرة .

ومع ذلك اتساءل : ما هو موقفي الان ؟ هل سأظل مع جبهة
 ام مع اخرى ؟

وهنا اعود لما قاله فيلي براندت « بان وجود اسرائيل لا يمكن
 ضمانه الا عن طريق معاهدة للسلام » هذا القول السليم والذي لا

بديل له . انني اوافق تماما على ان ترد اسرائيل ، بعد عقد معاهدة السلام ، المناطق المحتلة .

لكن ، ماذا سوف يحدث لو ان تلك المناطق المحتلة استخدمت بعد استردادها كمواقع للهجوم ؟

هذا هو السؤال الذي يتردد في اسرائيل . فقليلا ما نسمع بان الدول العربية قد تخلت عن هدف استرجاع وغزو فلسطين ، وسحق دولة اسرائيل .

لذلك يجب ان تظل المناطق المسترجعة مناطق محايدة ، اذا كانت معاهدة السلام ترغب في ضمان وجود اسرائيل .

لكن ، ما الذي يضمن لدولة اسرائيل - رغم مناطق الحياد غير المسلحة - ومع وجود الصواريخ متوسطة المدى ، عدم توقع ضربة قاضية مفاجئة ؟ وماذا يبقى لها سوى الاعتراضات في مبنى الامم المتحدة ؟

سوف ينتهي ذلك الخوف فقط ، عندما تتعهد القوى العظمى مع الدول الأوروبية الغربية في معاهدة السلام بحماية الحدود الجديدة حماية عسكرية . واقول : والمانيا الغربية معهم ، لانه لولا الذنب الالمانى لما وجدت دولة اسرائيل . وعندما نقول ، ان علاقتنا باسرائيل هي علاقة طبيعية بشكل او باخر ، فان تطورنا التاريخي لا يسمح لمانيا الغربية وحكومتها عند بدء معادئسات السلام الا ان تكون في صف ضمان امن اسرائيل .

ان غزو تشيكوسلوفاكيا بقوات حلف وارسو ، والانقلاب العسكري الفاشي في اليونان ، ومقابلة في شيلي ، قد علمنا ان الاعتراضات عديمة الاثر ، وان هز الرأس على ما يحدث ، شيء يدعو للضحك امام ما يسمى « بالحقائق السياسية القائمة » .

ان القضاء على دولة اسرائيل - رغم معاهدة السلام - سوف يشير مثل تلك الاعتراضات الاخلاقية ، ان لم تكن هناك دول اخرى (وبينها المانيا الغربية للاسباب السابقة الذكر) مستعدة بشكل مباشر لحماية اسرائيل عسكريا .

اقصد ، ان فكرة القضاء على اسرائيل تظل قائمة ، دون ضمان عسكري لمعاهدة السلام - قائمة اكثر من اي وقت مضى - وبصير كل فرد في المانيا محملا بالجريمة النسي تمتد من محاكمات اشفتس

حتى وقتنا هذا .

ان حقيقة موقف الدول العربية ، في انها غير مستعدة لان تضع حدا للجرائم غير الشريفة التي يقوم بها الارهابيون الفلسطينيون ، تؤكد شكوكي .

نحن - ولا استثنى نفسي - قد اصبحنا نناثر بالهجوم القريب واليومية : النمو السكاني ، ازدياد البطالة ، التضخم المالي ، ارتفاع الاسعار ، انقطاع النفط ونتائج غير المرئية ، كل ذلك يجعلنا نتوقع منا تجاه اسرائيل موقفا مختلفا .

ان الحياد الذي تكون اسرائيل ثمنا له ، ويخضع للمضغ العربي ، حياد لا معنى له ، حياد يسلبنا كرامتنا . ان كلمة واحدة لصالح اسرائيل ، اصبحت تهددنا او تهدد بعض الافراد بالخطر ، وربما بالارهاب . لم تعد هناك قيم تحكم ، لكنه الخوف الذي يحكم . انني اخاف ان يكون المنطق قد اصبح عبثا في عالم السياسة .

ان توقف القتال في فيتنام الذي قام كيسنجر ولو دوله ثو بجهده كبير فيه يعتبر انتصارا للضمير البشري ، لكن الاطراف جديها تصحك الان من النتيجة . فالجرب ما زالت مستمرة .

عام للرغبات الخطرة والنتائج الشريرة . متداخل في تناقضاته . انهيار البرلمانية الغربية ، والفرور الراسمالي . جمود الشيوعية في الشرق ، وعجزها عن الاصلاح ، واستعدادها في كل وقت ان ترى في الارهاب الستاليني انقاذا لها . اليسار مختلف ، واليهيين يزداد صلابة . والكنيسة منقسمة في اغمائها السياسي .

اكثر من مئات الالاف الجوعى في الحبشة . اكثر من ١٥ الف قتيل في شيلي ، حوالي ٢٠ الف قتيل في الشرق الاوسط ، عددا لوتى في فيتنام وكهوبديا لم يعد يحصيه احد . الارهاب في اليونان . الارهاب في تشيكوسلوفاكيا .

اتساءل : اين هو الايجابي ؟

ربما : الارباح الضخمة التي تبررها ازمة الطاقة ؟

او : ارتفاع اسعار النحاس بعد اسقاط حكم الليندي وقتله ؟

او : التقدم العلمي . شيء ما نجح فسي التحليق في الفضاء او ربما لا اكثر من ذلك : نقص السيارات ، وانخفاض عدد القتلى في الحوادث .

كتب عقائدية وفكرية

من منشورات دار الادب

الثقافة والثورة	محمود امين العالم	دفاعا عن الثورة	ريجي دوبريه
ماركيوز اوفلسفة الطريق المسدود	محمود امين العالم	القوة السوداء	ستوكلي كارمايكل
ادب المقاومة في فلسطين المحتلة	غسان كنفاني	الوحدة العربية آتية	ارنولد توينبي
هيا الى الثورة	جيرري رويين	التحدي الصهيوني	جاك دومال - ماري لوروا
النشاط الجنسي وصراع الطبقات	رامبوت رايش	جمال عبدالناصر من حصار الفالوجة	» »
الوجه الاخر لامريكا	ميكائيل هارنفتون	الارهابيون والغدائيون	رولان غوشيه
حرب المقاومة الشعبية	الجنرال جياب	اقترح دولة فلسطين	احمد بهاءالدين
قصة المقاومة الفيتنامية	الجنرال جياب	الكواكبي المفكر الثائر	نوربير تابيرو
الكفاح المسلح	دوغلاس هايد	ماجلا او آجلا ستزول اسرائيل	ترجمة ريمون نشاطي
ثورة في الثورة	ريجي دوبريه		

دار الادب ص ب ٤١٢٢ بيروت